(10) بناء القدرات من أجل التنمية:

لا تلبي عملية بناء القدرات من أجل التنمية الاحتياجات الملموسة من المهارات والموارد فقط ولكنها تستجيب للمشاعر التي تأتي من خبرات الأشخاص المتعلقة بالفقر والقهر، وهي عملية معنية بالاستثمار طويل المدى في الأشخاص. وتفرض عملية الاستثمار في الأشخاص عند بناء القدرات الموائمة الدائمة بين الدعم المادي والعقلي.

أولا: القدرة المادية:

تمثل القوة الجسدية والمالية للإنسان ما يمكن أن نطلق عليه القدرة المادية، وهي ما تعني إمكانية الإنتاج بصورة فردية أو جماعية محددة أو عامة وبما يؤدي إلى تحقيق الأهداف المطلوبة للشكل الفردي أو الجماعي الذي يعمل الإنسان من خلاله. ولا شك أن هذه القدرة المادية تمثل محركا هاما لبدء واستمرار نشاط عملية بناء القدرات الذاتية، ولكن تبقي هذه القوة ناقصة وعشوائية ومهددة بالانهيار ما لم تصاحبها قوة عقلية.

ثانيا: القدرة العقلية:

هي المدى الذي يستطيع أن يستثمر الفرد ما يحمله من معلومات وأفكار

واتجاهات وقدرات مادية بشكل صحيح. بل إن هذه القدرة العقلية هي المسئولة عن اتخاذ الفرد أو الجماعة للقرار المناسب وتأكيد اتجاه استثمار القدرات الذاتية على اتجاهات التركيز على الحصول على المعونة والمساعدة.

ثالثا: ما هي العلاقات التي يمكن من خلالها إحداث التوازن بين القدرة المادية والعقلية للإنسان؟

حتى لا نغرق في قضايا فلسفية في هذا المجال علينا أن نفكر في هذه المشكلة وعيوننا على الجهود المبذولة لتنمية الأفراد والجماعات ذات الإمكانات المعدومة أو المحدودة للغاية، وذلك بهدف الوصول إلى بعض المؤشرات التي نستطيع استخدامها أو تطبيقها عند التخطيط والإشراف على تنفيذ برامج التنمية. ومن الصعب كما يحلو للبعض أن يحول المشكلة إلى سؤال تقليدي لا إجابة مطلقة له وهو بماذا نبدأ..؟ هل بتدعيم القدرات المادية أم العقلية عند البدء في بناء القدرات؟

من الأفضل أن تكون البداية هي قياس مستوى القدرات المادية والعقلية الموجودة، ثم نفكر في كيفية حدوث بناء وتطوير هذه القدرات بصورة متناسقة بحيث لا يحدث صعود مفاجئ في أحد هذه القدرات دون أن يصاحبه صعود متناسب في القدرات الأخرى.

ولكن ما هي الأخطاء التي نخشاها عندما تحدث فجوة بين القدرات المادية والعقلية؟

1- عندما تكون القدرة المادية أكبر من القدرة العقلية:

نتيجة لتلقي العون أو المساعدة، يكون الكيان سواء كان فرديا أو جماعيا مهددا، ويؤثر ذلك على الاتجاهات السائدة فيه نحو بناء القدرات الذاتية للأفراد، حيث لا يكون هناك وعي للحفاظ على الاستقلالية ورفض المدخلات التي يمكن أن تحول هذا الكيان إلى مجرد تابع أو متلقي للعون والمساعدة. وتتدهور قدرات الأفراد وتتبدد قواهم المادية بفعل تقدم العمر بجانب الجمود وعدم القدرة على التجديد أو التحديث وظهور المشكلات والأزمات التي لا يصاحبها في هذه الحالة قدرة عقلية تستطيع التعامل معها.

2- عندما تكون القدرة المادية أقل من القدرة العقلية:

عندما يكون لدي الكيان البشري سواء أكان فردا أو جماعات قدرة عقلية مناسبة ويستطيع أن يستثمرها، فإن هذا يعني أن عقل الإنسان يحاول توجيه القدرات المادية إلى أفضل صورة ممكنة. ومع أن المحاولة لا تضمن الحصول على النتائج الإيجابية بصورة دائمة، ولكن مما لا شك فيه أننا نضمن طول فترة التحمل أثناء فترة المحاولة وبالتالي استمرار الاتجاه نحو الاعتماد على النفس فترة طويلة.

والتحليل السابق لأثر الخلل بين القدرات المادية والعقلية يمثل أهمية كبيرة لأولئك الذين يقدمون المساعدة والعون المادي والفني للأفراد والجماعات تحت عنوان التنمية، حيث يجب أن يدركوا ماذا هم فاعلون؟ ويحددوا هل يسعون إلى تنمية القدرة المادية على العقلية أم العكس، أم أنهم يعملون بوعي إلى إحداث تناسق بين القدرات.

ولكن يجب أن نشير إلى أن عملية بناء القدرات تتطلب وجود القدرة المادية للأفراد أو الجماعات بشرط أن تسبقها وتزيد عنها قدرة عقلية تستطيع أن توجه وتقود القدرة المادية في الاتجاه الصحيح.

بناء القدرات يعني الاستثمار الأمثل للإمكانات الذاتية المتاحة والعمل من أجل حل المشكلات وتحقيق الأهداف. وهو اتجاه ينمو داخل الفرد ليطور إمكاناته البشرية كي يعمل على تحسين ظروفه الخاصة، وعندما يستطيع الفرد أن يبني قدراته الذاتية فسوف تكون لديه القدرة على أن يعمل ضمن مجموعة من الناس تعمل أيضا على بناء القدرات في اتجاه جماعي.

وبناء القدرات يعني أن ينشط الفرد من أجل نفسه ومن أجل صالح الجماعة التي ينتمي إليها. ولا يستطيع الفرد أن يعيش بمفرده أو ينشط لنفسه فقط حيث يصعب عليه ذلك لتعدد وتنوع حاجاته وصعوبة تحقيق بعضها بمفرده. وعندما يتفق هدف الفرد مع الجماعة فإنه يستطيع أن يحصل على عائد أفضل لنفسه وللجماعة وللمجتمع الذي يعيش فيه.

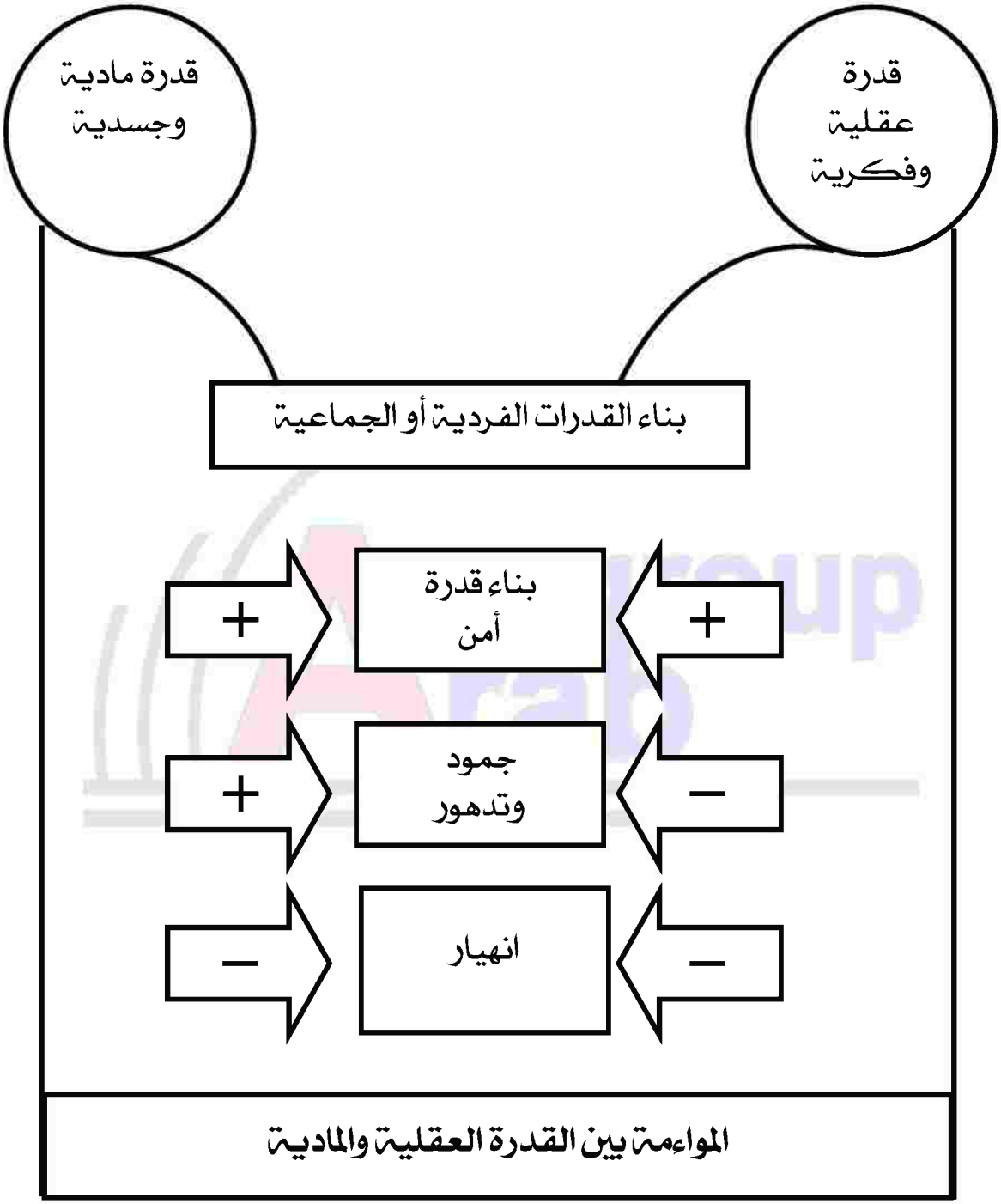
قدرة مادية وجسدية
قدرة عقلية وفكرية
بناء القدرات الفردية أو الجماعية
بناء قدرة أمن
جمود وتدهور
انهيار
+
+
+
−
−
−
المواءمة بين القدرة العقلية والمادية

ومن الخطأ أن ننظر إلى بناء القدرات على أنه مجرد أسلوب فقط دون أن يأخذ موقعه الصحيح والمناسب في عملية التنمية، حتى يحصل على القدر المناسب من الاهتمام به، فبناء القدرات قيمة وموقف في حياة الفرد والجماعة والمؤسسة في طريق السعي الدائم لتحقيق الأفضل، فهو الوسيلة الرئيسية لمواجهة تحديات وعقبات النمو والتطور.

ويتحول بناء القدرات إلى قيمة لدي الأفراد في أي مجتمع عندما يعمل كل فرد على تحقيق الإنجاز المطلوب من خلال الإيمان بقدراته على الإبداع والانطلاقة الذاتية لتحقيق الإنجاز، مما يؤدي إلى مزيد من تفجير الطاقات وتوليد القوة الدافعة للعمل من أجل النفس ومن أجل الآخرين الذين يسعون معا للوصول إلى هدف مشترك.